صناعة الملكة الأخلاقية عند مسكويه وأبي حامد الغزالي

The formation of moral faculty at Miskawayh and Abu Hamid Alghazaly

الخليل الواعر

[1]كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة (المغرب)

تاريخ الاستلام: 2023/01/17 تاريخ القبول: 2023/09/28 تاريخ النشر: 2023/12/10

ملخص: لا خلاص من آفات الأخلاق الرديئة في السلوك الإنساني إلا بصناعة أخلاقية تسعى إلى الانتقال بالسلوك الأخلاقي المستثقل إلى سلوك يمتزج بالعادة والطبع إلى أن يصير ملكة أخلاقية تبعث الفعل الحسن من النفس بدون فكر ولا روية؛ لكن هذه الأخلاقية تحتاج إلى صناعة تعليمية مرتبة على أسس علمية ومنطلقات فكرية لمعرفة ماهية النفس. فالغزالي يرى أن "الأفعال إنما هي نتائج الأخلاق"، وأن هذا التغيير الذي يلحق الأفعال ممكن في حق الطباع البشرية إذا وجد شرط التربية. أما مسكويه فيذهب إلى أن الأخلاق "صناعة تُعنى بتجويد أفعال الإنسان ".ومع ذلك نجدهما يختلفان في مقاربة صناعة الأخلاق.

كلمات مفتاحية: الصناعة؛ الأخلاق؛ الملكة؛ مسكويه؛ أبو حامد الغزالي.

Abstract:

There is no escape from the drawbacks of bad morals and malicious deeds in human behavior except through a moral industry. The latter seeks to move with heavy moral behavior to a behavior mixed with habit and nature until it becomes a moral faculty that sends good action of the soul without thought or vision. Therefore, this research aims to highlight the scientific foundations and intellectual starting points in order to establish the moral faculty of Miskawayh and Imam Al-Ghazali by tracing their intellectual tradition. The process showed that actions are the results of morals and that the change that follows actions is possible through human nature if the condition of education exists.

Keywords: industry; morals; the faculty; Miskawayh; Abu Hamid Al-Ghazali.

المؤلف المرسل: د.الخليل الواعر، **البريد الالكتروني**: eloiaarkhalil@gmail.com

1. مقدمة:

إن الناظر في التراث الفكري لكل من مسكويه والإمام الغزالي سيلاحظ أنهما عاشا تحديات أخلاقية كبيرة كان لها أثر بالغ في إنتاجهما التربوي والأخلاقي. لذلك بدا سؤال الأخلاق حاضرا في كتاباتهما بشكل جلي، وتكاد ترتكز جهودهما في بناء نظرية أخلاقية تسعى إلى الانتقال بالسلوك الأخلاقي المستثقل إلى سلوك يمتزج بالعادة والطبع إلى أن يصير ملكة أخلاقية تبعث الفعل الحسن من النفس بدون فكر ولا روية؛ خطابا وممارسة وسلوكا. ومما يلاحظ أيضا أن دراستهما لمباحث الأخلاق قدمت إجابات واقعية تتجاوز البحث عن سؤال الأخلاق معرفيا من حيث الماهية والجوهر إلى الدراسة السلوكية القائمة على التجريب والتمثيل قصد إصلاح السلوك الإنساني وربطه بمصيره ووجوده.

لذلك جاء الدرس الأخلاقي عند مسكويه والغزالي مؤكدا على إمكانية تغيير الأخلاق من الخلق السيء إلى الخلق الحسن، والجنوح بالإنسان إلى تحصيل الكمال والسعادة عن طريق المجاهدة وتهذيب النفس. ولعل الرامق إلى الاختيار التربوي الذي سلكه كل من مسكويه والغزالي في صناعة الملكة الأخلاقية سيجد أنهما ينطلقان من أن "الأفعال إنما هي نتائج الأخلاق" (الغزالي، 1964، صفحة 247)، وأن الأخلاق "أفعال وأعمال تظهر عند مشاركة الناس ومساكنتهم" (مسكويه، 2011، صفحة 262). وأن هذا التغيير الذي يلحق الأفعال ممكن في حق الطباع البشرية إذا وجد شرط التربية، فمادام الله وضع في الإنسان قوة لقبول الكمال والتمام؛ فإن تغيير الأفعال من الأسوأ إلى الأحسن ممكن ومطلوب شرعا.

لكن هذه الصناعة الأخلاقية في رأيهما تحتاج إلى صناعة تعليمية مرتبة على أسس علمية ومنطلقات فكرية وآليات تربوية لفهم فلسفة النفس وعلاقتها بالبدن، وفي ذلك يقول مسكويه: "هذه الصناعة هي أفضل الصناعات كلها، أعني الأخلاق التي تُعنى بتجويد أفعال الإنسان بما هو إنسان" (مسكويه، 2011، صفحة 270). ومهما يكن من أمر، يكاد يتفق كل من مسكويه والغزالي على أن الطريق إلى صناعة الملكة الأخلاقية يكمن في معرفة ماهية النفس وتركيبتها وقواها (التفكيرية، والشهوية، والغضبية) ومحركها وكمالها(العدالة) وغايتها(السعادة). ومع ذلك نجدهما يختلفان في مقاربة صناعة

الأخلاق، حيث ينزع مسكويه –في منهجه– إلى العقل، فيبدو شحيحا في الاعتماد على النص الديني مقابل توغله في الفلسفة اليونانية، في حين نجد الإمام الغزالي ينزع إلى الروح والمجاهدة المبنية على النقل المسهب من نصوص الكتاب والسنة. مما سينتج عن هذا الاختلاف في المرجعية من نتائج متباينة في آرائهما حول صناعة الملكة الأخلاقية، فمسكويه يربط تحصيل الأخلاق بشرط الاجتماع المدني، ونقد الاعتزال والخلوة الصوفية؛ لأن ذلك يفضي في رأيه إلى تعطيل الغرائز الفطرية، بحيث يستحيل معها الحكم على الإنسان بالخير أم الشر. فحين يظهر الإمام الغزالي متشبثا بالخلوة والاعتزال مدة من الزمن بحجة تهذيب النفس ومجاهدتها وتزكيتها. فمسكويه يفصل بين الأخلاق الاجتماعية، والأخلاق العرفانية الباطنية، وينحاز إلى الأخلاق الاجتماعية، خلافا للإمام الغزالي الذي أوغل في المعرفة الباطنية. ويرجع سبب هذا الاختلاف في تقديري إلى أن مسكويه سعى في فلسفته الأخلاقية إلى تحقيق نظرية السعادة، في حين سعى الغزالي إلى تحقيق المعرفة الإلهية.

وبناء عليه، فإن الرجلين يكادان يتفقان على أن الأخلاق والفضائل منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب، وأن الله وزع على الناس أخلاقهم، وأن كل الموجودات على الأرض لها ملكات تميزها عن غيرها، وكل فرد ملزم بأداء وظيفيته الأخلاقية، فمن أتى بها كاملة فقد حقق وجوده، وإن قصر عن الإتيان بها حط من مرتبته ووظيفته الإنسانية، ومن ثم فإن الوصول إلى فضيلة السعادة لا يتم إلا بتحصيل الاجتماع المدني، وأداء كل فرد فضيلة من الفضائل الموزعة بين الخلائق. ولمقاربة إشكالية هذا الموضوع أكثر، نقترح الخطة الآتية:

مقدمة؛

المحور الأول: مدخل مفاهيمي: الأخلاق، الملكة، الصناعة؛

المحور الثاني: المنطلقات النظرية لصناعة الأخلاق عند مسكويه وأبي حامد الغزالي؛

المحور الثالث: الموجهات العلمية لصناعة الأخلاق عند مسكويه وأبي حامد الغزالي؛

المحور الثالث: آليات صناعة الأخلاق عند مسكويه والغزالي؛

خاتمة.

2. مدخل مفاهيمي: الأخلاق، الملكة، الصناعة

سنتناول في هذا المحور ثلاثة مفاهيم أساسية، نروم من خلاله الوقوف على دلالة الأخلاق، والملكة، والصناعة في المعاجم اللغوية والمعاجم الاصطلاحية.

1.2 الأخلاق في اللغة

يطلق الخلق في اللغة على السجية والطبع والمروءة والدين. قال الجوهري: "والخُلْق والخُلُق بسكون اللام وضمها، السَّجِيّةُ وفلان يَتَخَلّق بغير خُلُقه أي يَتَكَلّفه" (الجوهري، 2009، الصفحات 340-341). وتدل التعاريف اللغوية على أن الخلق مرتبط بالجانب السلوكي للإنسان، والذي يتضمن صفات باطنية وظاهرية، وفيه ما ينبعث طبعا، وفيه ما يخرج تكلفا. ويشير إلى هذا المعنى الراغب الأصفهاني بقوله:"الخَلق والخُلق في الأصل واحد، لكن خص الخَلق بالأشكال والهيئات والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة." (الأصفهاني، 2009، الصفحات 296-297) وقال ابن منظور: الخلق: "هو الدِّين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها." (منظور، 1993، صفحة ج:86/10)ويظهر من خلال هذه التعاريف أن الخُلُقَ:

- يشمل ما هو باطني وما هو سلوكي ظاهري؛
- يضم الصفات الكامنة في الطباع البشرية من أصل الفطرة؛
- يجمع الصفات المكتسبة والتي صارت بالطبعة بعد تكلف واستثقال.

2.2 الأخلاق في الاصطلاح:

الخلق في الاصطلاح: عبارة عن صفة في النفس تصدر عنها الأفعال سواء كانت باطنية أو ظاهرية بكل يسر وروية، وفيها ما ينبعث بالسجية والطبع، وفيها ما يستفاد بالعادة والتدريب. ويشير إلى هذا المعنى الجاحظ بقوله: "الخُلُق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا عمل، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة."(الجاحظ، 1989، صفحة 12)كما نجد هذا التقسيم عند مسكويه حيث يقسم الأخلاق إلى

ما يكون طبيعيا من حالة المزاج، وما يستفيده الإنسان بالعادة والتدريب إلى أن يصبح خلقا وملكة للنفس.(مسكويه، 2011، صفحة 265).

3.2 الملكة في اللغة:

إذانظرنا في المعاجم اللغوية وبحثنا فيها عن تعريف الملكة نجد أنها تشمل معاني: التملك، والسيطرة، والقدرة على احتواء الشيء، قال ابن فارس: "والمملوك العبد، وفلان حسن الملكة أي: حسن الصنيع إلى مماليكه...والملك الماء يكون مع المسافر لأنه إذا كان معه ملك أمره."(فارس، 1979، صفحة ج:352/5) أما ابن منظور فيشير إلى معنى الملكة بالقدرة على التملك والسيطرة على الشيء واحتوائه، حيث يقول: "ولفلان ملكوت العراق، أي: عزه وسلطانه وملكه...وتملكه، أي: ملكه قهرا. وملك القوم فلانا على أنفسهم وأملكوه: صيروه ملكا...وقوله تعالى: ﴿ملكوت كل شيء﴾(يس الآية: 83)أي: القدرة على كل شيء...والملك احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به."(منظور، 1993، صفحة ج:126/14) ويظهر من هذين النصين أن استعمال الملكة في المعاجم اللغوية يأتي بمعنى: السيطرة، والاحتواء، والتحكم، والاستبداد.

4.2 الملكة في الاصطلاح:

يختلف المعنى العام للملكة في المعاجم اللغوية عن ما أشارت إليه المعاجم الاصطلاحية، حيث أظهرت الأولى أن الملكة تأتي بمعنى السيطرة والاحتواء والتحكم في الشيء، فحين منحت المعاجم الاصطلاحية لكلمة ملكة معنى عاما، ودلالة قيمية وتربوية أكبر، ومع ذلك يظل جذر (ملك) في اللغة حاضرا بقوة في المعنى الاصطلاحي للملكة من حيث الإحاطة والسيطرة على الشيء. حيث عرفها الجرجاني بقوله: "هي صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية، وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال، فتصير ملكة، وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقا."(الجرجاني، 1985، صفحة ج:296/1)وعرفها ابن خلدون بقوله: "والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته."(خلدون، 1988، صفحة ج:400/1).وعرفها الطاهر

ابنعاشور الملكة في الاصطلاح بقوله: "ونعني بالملكة: أن يصير العمل بتعليمات العلم كالسجية للمتعلم لا يحتاج معها إلى مشايعة القواعد إياه."(عاشور، 2008، صفحة 157)

5.2 الصناعة في اللغة:

قال ابن منظور في مادة صنع: "﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾. (النمل الآية 88) والصناعة: حرفة الصانع وعمله الصنعة. والصناعة: ما تستصنع من أمر؛ وامرأة صناع؛ إذا كانت رقيقة اليدين تسوي الأشافي وتخرز الدلاء وتفريها، وامرأة صناع: حاذقة بالعمل."(منظور، 1993، صفحة ج:209/8).

6.2 الصناعة في الاصطلاح:

بعرف الجرجاني الصناعة بكونها: "ملكة نفسانية تصدر عنها الأفعال الاختيارية من غير روية، وقيل العلم المتعلق بكيفية العمل(الجرجاني، 1985، صفحة 115)." ويعرفها ابن خلدون بأنها: "اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، وبكونه عملياً هو جسماني محسوس، والأحوال الجسمانية المحسوسة، نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل؛ لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة."(خلدون، 1988، صفحة ج:399/1).

3. المنطلقات النظرية لصناعة الملكة الأخلاقية عند مسكويه وأبي حامد الغزالي

1.3. معرفة النفس

1.1.3 رأي مسكويه

يرى مسكويه أن صناعة الملكة الأخلاقية لدى الإنسان تتطلب فهما عميقا للنفس البشرية، فإذا أردنا أن نجعل الإنسان يخرج الخلق الحسن من الكمون الداخلي إلى الفعل الخارجي بلا فكر ولا روية بحيث لا يشعر معه المرء باستثقال أو استبطاء في الفعل الخلقي، يلزمنا أولا أن نعرف أنفسنا، وذلك بإدراك كل خواصها وملكاتها وبما انمازت به عن المخلوقات الأخرى. وهذا ما أشار إليه مسكويه في مقدمة كتابه "تهذيب الأخلاق" عندما ذكر أن الغاية من هذا التأليف: "أن نحصل لأنفسنا خلقا تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة، وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة، ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي." (مسكويه، 2011، صفحة 233)

ويؤكد –رحمه الله– بأن لا طريق لحصول هذا الخلق الحسن إلا بمعرفة النفس وخواصها وقواها الملكاتية. وفي ذلك يقول "والطريق في ذلك أن نعرف أولا نفوسنا ما هي، وأي شيء هي، ولأي شيء أوجدت فينا؟ أعني كمالها وغايتها، وما قواها وملكاتها التي إذا استعملناها على ما ينبغي بها هذه الرتبة العلية. وما الأشياء العائقة لنا عنها وما الذي يزكيها فتفلح، وما الذي يدسيها فتخيب." (مسكويه، 2011، صفحة 233)

ويمعن مسكويه في كلامه عن النفس فنجده مغرقا في البحث عن ماهيتها وتركيبتها وما تنماز به عن الذوات الأخرى، حيث يرى أن النفس ليست جسما ولا جزءا من جسم ولا عرضا، ودليله في ذلك أنها لا تقبل شكلا أو صورة بخلاف الجسم الذي لا يقبل إلا جسما أو شكلا واحدا ولا يقبل غيره إلا بعد أن يفارقه الشكل الأول كالتثليث والتربيع والتدوير. وتختلف النفس عند مسكويه عن الجسم بأنها كلما تباعدت عن المعاني البدنية من قبيل الحواس ازدادت قوة وتماما وكمالا، وتظهر لها الآراء صحيحة ومعقولة؛ لأنها حريصة على معرفة حقائق الأمور الإلهية وتميل إليها وتنفر من كل طباع البدن، وذلك لأن الحواس أكثر ما تخطئ، فمسكويه يرى أن الحواس تدرك المحسوسات فقط؛ أما النفس فإن لها مقدرة على إدراك أسباب الاتفاقات والاختلافات وهي معقولات لا يكفي لإدراكها تعيين الحواس، وذلك أن البصر يخطئ فيما يراه من قرب ومن بعد كبعد الشمس ومنزلة الكواكب والسفن والأساطين والنخيل وأشباهها، وكثير ما ترد النفس العاقلة على الحواس هذه الأحكام المغلوطة في إدراكها للأشياء المحسوسة، وكذلك حال جميع المحسوسات كالسمع، والشم، والذوق، واللمس. وبالجملة فإن النفس عند مسكويه تدرك الكثير من خطأ الحواس في مبادئ أفعالها وترد عليها أحكامها. وهذه الخاصية هي العلة التي يزداد الإنسان بها فهما كلما ارتاض وتخرج في العلوم والآداب. (مسكويه، 2011، الصفحات 237-240)

ومن خصائص النفس عند مسكويه أنها تشتاق إلى أفعالها من العلوم والمعارف، وتهرب من أفعال الجسم ولا تحصل لها الفضائل؛ إلا إذا طهر الإنسان نفسه من عوائق الحواس، كشهوات الجسم ونزواته البهيمية؛ لأن "الإنسان إذا علم أن هذه الأشياء ليست فضائل بل هي رذائل، تجنبها وكره أن يوصف بها، وإذا ظن أنها فضائل لزمها وصارت له عادة." (مسكويه، 2011، صفحة 243).

2.1.3 رأي أبي حامد الغزالي

يتفق الغزالي مع مسكويه في لزم معرفة فلسفة النفس، وذلك بإدراك قواها وما تتميز به من خواص، كونه المدخل الأساسي لصناعة الأخلاق الحسنة، وفي ذلك يقول: "ولا يمكنك معرفة ما تطلبه إلا بأن تعرف أولا نفسك وقواها وخواصها، فكيف يشتغل بمخالطة زيد من لا يعرف زيداً؟ والمجاهدة معالجة للنفس بتزكيتها، لتفضي إلى الفلاح، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسّاهَا﴾ (الشمس الآية 09) ومن لم يعرف الثوب لا يتصور منه إزالة وسخه." (الغزالي، 1964، الصفحات 199-205)

وللغزالي أيضا رؤيته الفكرية عن النفس وتركيبتها العجيبة، فهو يرى أن النفس الإنسانية أرفع من الأجسام الأرضية، ويقسم النفس إلى قوتين: قوة عالمة وقوة عاملة، ويبين أن القوة العاملة هي المحركة للبدن، والتي تدفعه إلى الإقدام على الحسن من الأفعال والإحجام عن قبيحها، وذلك بناء على ما تقتضيه القوة العالمة النظرية، فهو يرى أن كل الأفعال والحركات إنما تتحرك بحسب تأديب وإشارة القوة العالمة.

ويذهب الإمام الغزالي –رحمه الله– إلى أنه "ينبغي أن تكون سائر قوى البدن مقموعة مغلوبة، دون هذه القوة العملية بحيث لا تنفعل هذه القوة عنها. وتلك القوى كلها تسكن وتتحرك، بحسب تأديب هذه القوة وإشارتها، فإن صارت مقهورة، حدثت فيها هيآت انقيادية للشهوات، تسمى تلك الهيآت أخلاقاً رديئة، وإن كانت متسلطة حصلت لها هيئة استيلائية، تسمى فضيلة وخلقاً حسناً." (الغزالي، 1964، صفحة 204).

2.3. المنطلق الثاني: إدراك الخصوصية الإنسانية

يرى مسكويه أن كل الموجودات من حيوان ونبات وجماد لها قوى وملكات وأفعال تتميز بها عن غيرها، ولها أيضا قوى تشارك بها ما سواها، فكذلك الإنسان له ملكات وقوة وأفعال يشارك بها سائر الموجودات، وفيه ما يختص به من حيث هو إنسان وبه تتم إنسانيته وفضائله وهي الأمور التي تنبع عن إرادته وتتعلق بقوة الفكر والتمييز. فالإنسان في نظره له فعل خاص لا يشاركه فيه غيره؛ فإن أتى به على كماله واختياره كان أكمل في إنسانيته (مسكويه، 2011، صفحة 245).

ويورد مسكويه مجموعة من الأمثلة تبين هذا التفرد الإنساني: كالسيف والمنشار فإن صدر عن كل واحد منهما فعله الخاص بصورته الذي خلق من أجله وصل إلى كماله، وكذلك حال الفرس والبازي وسائر الحيوانات، فإن الأفراس ما كان أسرع حركة وأجود خفة وأطوع لفارسه، فكذلك الإنسان أفضل من أتى بأفعاله الخاصة تمسكا بشرائط جوهره التي تميزه عن غيره من الموجودات، فإن الفرس إذا قصر عن كماله ولم تظهر أفعاله الخاصة به على أفضل أحوالها حط عن مرتبة الفرسية، وكذلك حال السيف وسائر الآلات متى قصرت ونقصت أفعالها الخاصة بها حطت من مراتبها واستعملت استعمال ما دونها. وكذلك الإنسان عند مسكويه إذا نقصت أفعاله وقصرت عما خلق له، حط عن مرتبة الإنسانية إلى مرتبة البهيمية (مسكويه، 2011، الصفحات 245-246).

ويظهر مما سبق أن مسكويه أراد بهذا التصوير لأفعال الإنسان أن يبرز ما ينماز به الكائن البشري عن الموجودات الأخرى، فيحمل هذا التكريم أو التخصيص على التمييز في الأفعال الخُلقية التي خلق من أجلها وأن يأتي بها على الكمال والتمام، وإذا قصر عن ذلك حط من مرتبته التي أكرمه الله بها إلى مرتبة البهيمية التي لا تخضع أفعالها وتصرفاتها إلى المعنى.

3.3 المنطلق الثالث: معرفة القوى الثلاثة:

يذهب الإمام الغزالي إلى أن أول ما يلزم في تهذيب النفس وتزكيتها إلى ما يحسن أخلاقها، معرفة مجامع قواها ليسهل تهذيبها، وبذلك يعرف ما يحفزها على الإقدام فما هو مستحسن من الأخلاق، والإحجام عن مستقبحها، وفي ذلك يقول: "ومجامع القوى التي لابد من تهذيبها ثلاث: قوة التفكير، وقوة الشهوة، وقوة الغضب."(الغزالي، 1964، الصفحات 232-233) وهذا أيضا ما ذهب إليه مسكويه عندما أشار إلى هذه القوى الثلاثة، حيث اعتبرها المحرك الأساسي لأفعال الإنسان، فتهذيب قوة الفكر عند الغزالي ومسكويه تيسر التفريق بين الحق والباطل، وبين الصدق والكذب، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، أما تهذيب قوة الشهوة فينجم عنه حصول العفة، وتزجر به النفس عن الفواحش، وتهذيب القوة الغضبية يحصل الحلم والشجاعة المحمودتان، فإذا ضبطت هذه القوى الثلاثة وانقادت إلى القوة الفكرية حصلت للإنسان فضيلة العدالة(الغزالي، 1964، الصفحات 232-234). قال مسكويه: "ثم يحدث

عن هذه الفضائل الثلاث باعتدالها ونسبة بعضها إلى بعض فضيلة، هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العدالة."(مسكويه، 2011، الصفحات 247-249)

4. الموجهات العلمية لصناعة الملكة الأخلاق عند مسكويه وأبي حامد الغزالي

1.4 الموجه الأول: الأخلاق موزعة بين الخلق

يرى مسكويه أن غايات الأخلاق حصول السعادة للإنسان، وأن هذه السعادة لا يمكن أن تتم وتحصل بشكل كامل؛ إلا إذا كانت جماعية بحيث يتعاون الناس في تحصيلها، ويأتي كل واحد بما خصه الله من الأفعال التي أودعها في نفسه، وفي ذلك يقول: "قد تبين أن سعادة كل موجود؛ إنما هي صدور أفعاله الإنسانية عنه بحسب تمييزه ورؤيته." (مسكويه، 2011، صفحة 246)

ويذهب مسكويه إلى أن الله عزوجل أجبل النفس البشرية على فضائل وأفعال خيرية لا تعد ولا تحصى، ولن يكون بمقدور الإنسان أن يأتي بها لوحده، وذلك راجع إلى أن الخيرات موزعة ومشتركة بين الناس ويشترط فيهم لتحصيلها "تكميل كل واحد منهم بمعاونة الباقين له، فيتوزعونها حتى يقوم كل واحد منهم بجزء منها، ويتم للجميع جميل الأفعال بمعاونة الجميع." (مسكويه، 2011، صفحة 247)

ومنه فإن الإنسان في نظر مسكويه مدني بالطبع وهو في حاجة دائمة لغيره؛ بل مضطر إلى معاشرة غيره ومحبته لهم محبة صادقة حتى تجري أموره على السداد والكمال، وذلك راجع إلى تمام إنسانيته، فلا يعقل بهذا المعنى أن يختار الاعتزال والتوحش ويتخلى عن طبعه في الاختلاط والاجتماع فهو بهذا يجرم في حق نفسه، ويعطل كامل قواه وملكاته التي ركبت فيه ويبطل أدورها ومقاصدها، فإذا ما فعل ذلك صار بمنزلة الجمادات والموتى من الناس ولم يعرف خيره من شره. (مسكويه، 2011، الصفحات 261-262).

2.4 الموجه الثاني: الاعتزال لا يصنع خلقا

يرى مسكويه أن الاعتزال لا يصنع خلقا بل يعطل مكامن القوى والملكات التي أودعها الله في الطباع البشرية، فحين نجد الغزالي يجمع بين الاعتزال والمخالطة، ويفضل إلى حد بعيد الاعتزال القائم على حالة الفرد لا على الحكم الصحيح في المسألة. وللوقوف أكثر على موقفهما تجاه الاعتزال نعرضهما كالآتي:

1.2.4 رأي مسكويه:

يذهب مسكويه إلى أن أخلاق الإنسان وفضائله لا تظهر إلا بمشاركته للناس في حياتهم العامة كالمعاملات والمعاشرات، وأن الاعتزال هو إعدام لتلك الفضائل، وحائل دون معرفة قوة صبر الإنسان على أذى الناس (مسكويه، 2011، الصفحات 161-162). وضرب لذلك مجموعة من الأمثلة، من بينها: "أن من ترك الشهوات من المآكل والمشارب، وسائر اللذات التي ينهمك فيها غيره؛ إما لأنه ينتظر منها أكثر مما يحضره، وإما لأنه لا يعرفها ولم يباشرها كالأعراب الذين يبعدون عن البلاد، وكالرعاة في البوادي وقُلَلِ الجبال، وإما لأنه ممتلئ مما يجده ويحضره، وإما لجمود شهوته ونقصان تركيبه، وإما لأنه استشعر خوفا من تناولها ومكروها يلحقه بسببها، وإما لأنه ممنوع منها، فإن هؤلاء كلهم يعملون عمل الأعفاء وليسوا بأعفاء على الحقيقة، وإنما يسمى عفيفا على الحقيقة ومن وفى العفة حدها المذكور في ما تقدم، واختارها لنفسها لا لغرض آخر غيرها، وآثرها لأنها فضيلة ثم تناول كل واحدة من شهواته بمقدار الحاجة، ومن الوجه الذي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي، وعلى الحال الذي ينبغي" (مسكويه، 2011، صفحة 332).

ويذهب مسكويه إلى أبعد من ذلك حيث نجده ينتقد مسلك الاعتزال بشدة، ويصفه بأنه من صفات أهل الكسل ومحبة الراحة، وهما من أعظم الرذائل؛ "لأنهما يحولان بين المرء وبين جميع الخيرات والفضائل، ويسلخان الإنسان من الإنسانية" (مسكويه، 2011، الصفحات 386-387)، لذلك نجده يذم من لزموا فضائل الاعتزال، وفضلوه الركون في الجبال والمفازات على التمدن ومخالطة الناس، وفي ذلك يقول: "وكيف يعف ويعدل ويسخو ويشجع من فارق الناس، وتفرد عنهم وعدم الفضائل الخلقية، وهل هو إلا بمنزلة الجماد والميت." (مسكويه، 2011، الصفحات 386-387).

2.2.4 رأي أبي حامد الغزالي:

إذا كان مسكويه اختار ذم الاعتزال، فإن للغزالي رأيا آخر، حيث نجده يختار التوسط بين الاعتزال والمخالطة وترك الاختيار للفرد بحسب ما يجده من حاله وعزمه ومقدرته النفسية والجسمانية على الاعتزال أو المخالطة، فنجده يعدُ فضائل العزلة من تمكُّينٍ؟ من تحصيل الطاعات والمواظبة على العبادة والفكر

وتربية العلم، والتخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة؛ كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء (الغزالي، إحياء علوم الدين، 2011، صفحة ج:264/4). فهو يرى أن الخلاص من هذه الآفات لا يتم إلا باختيار العزلة باعتبارها خيارا تربويا (الغزالي، إحياء علوم الدين، 2011، الصفحات ج:290/4-291).

وبالرغم من الأقوال التي ساقها الإمام الغزالي في الدعوة إلى اختيار الاعتزال منهجا ومسلكا تربويا؛ إلا أننا نجده أيضا يجنح إلى المخالطة فيجمع بينهما كأنه يختار الوسط كمسلك للخروج من دائرة الخلاف، فيعرض آفات العزلة وما تفوته على المرء من مصالح دنيوية وأخروية. فيقول -رحمه الله-: "اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة، فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة (الغزالي، إحياء علوم الدين، 2011، صفحة ج:299/4)." ويذكر أن من فوائد المخالطة: التعليم والتعلم، والنفع والانتفاع، والتأدب والاستئناس والإيناس ونيل الثواب وإنالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها (الغزالي، إحياء علوم الدين، 2011، صفحة ج:299/4).

ويقر الغزالي على أن هناك العديد من الأمور الدنيوية لا تحصل إلا بالتجربة والمخالطة للناس وأحوالهم، وأن العقل الغريزي لا يكفي وحده لحصول العلم بها. وذكر أن من أهم التجارب التي تحصل للمرء أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفاته الباطنية، ولتحصيل هذا لا بد من المخالطة، وهذا لا يقدر عليه في الخلوة، فالإنسان الذي يعزل نفسه لا يترشح من نفسه خبث أو ما يستوجب الحكم من الغير بالخيرية أو الشر، وهذه الصفات الداعية للفعل لا يكفي لتسكينها بالتباعد عما يحركها من الخلائق وذوات الطباع البشرية؛ بل لابد من المخالطة للغير ليعرف الإنسان نفسه. ويضرب لذلك مثالا يقول فيه: "فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دُمَّلٍ ممتلئ بالصديد والمِدَّةِ، وقد لا يحس صاحبه بألمه ما لم يتحرك أو يمسه غيره، فإن لم يكن له يد تمسه، أو عين تبصر صورته، ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حرَّكَهُ محرِّكٌ أو أصابه مِشرط حجَّام انفجر منه الصديد وفار

فوران الشيء المحتقن إذا حبس عن الاسترسال، فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وسائر الأخلاق الذميمة إنما تتفجر منه خبائثه إذا حرك (الغزالي، إحياء علوم الدين، 2011، الصفحات ج:4/317-318)." ويختم الغزالي الحكم على اختيار العزلة أو المخالطة بقوله: "أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا وإثباتا خطأ، بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل، فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل، فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة، ويختلف ذلك بالأحوال وبملاحظة الفوائد والآفات (الغزالي، إحياء علوم الدين، 2011، الصفحات ج:4/320-321)."

ومما يؤُخذ على الإمام الغزالي في مشروعه الأخلاقي، أنه ركز على الرذائل السلبية مثل: الفقر، والزهد، والخوف، والخمول، والتواضع، والجوع، والاعتزال، وأفرط في الحث على هذه الفضائل الفردية لتزكية الإنسان وتهذيب أخلاقه، وغفل عن الفضائل الجماعية، فاعتبرها مبارك زكي فضائل فردية انهزامية وسلبية، وأن المرء لا يكفيه أن يسلم من آفات النفس "بل يجب أن يزود بكل مقومات الحياة، وخير للمرء أن يوصم برذائل القوة من أن يتحلى بفضائل الضعف. فإن الضعف شر كله (مبارك، 2012، صفحة 169)." كما أخذ مبارك زكي على أبي حامد الغزالي ما صاغه في موضوع الاعتزال، كونه لا يكتب للمجتمع والجماعات، وإنما يكتب لأناس يعيشون فرادى في عزلة وانفراد عن المجتمع، فإذا ما أراد المرء أن يدخل في عالم السكون والوحدة لوجد غايته الكبرى عند الغزالي؛ لكن إذا أراد أن يدخل عالم السياسة وشئون الرعية ودراسة السلوك الجماعي لما وجد لديه فكرة يهتدي بها الساسة من الملوك والوزراء والسفراء والولاة (مبارك، 2012، صفحة 169).

3.4 الموجه الثالث: القوة العالمة مسددة للقوة العاملة

يرى مسكويه أن الإنسان يتميز بقوتين: قوة عالمة، وقوة عاملة، فإذا اتحدتا صار الإنسان أقرب إلى الكمال وحصلت له السعادة التامة، وبين مسكويه كيفية اشتغال هاتين القوتين؛ حيث تختص القوة العالمة بالمعارف والعلوم، وهي التي تساعد الإنسان على تصحيح نظره وبصره، وتحمله على استقامة الرأي فلا

يشك ولا يغلط فيسكن إليه ويطمئن قلبه وتنجلي حيرته، فحين تختص القوة العاملة بالكمال الخلقي، بحيث تساعد الإنسان على نظم الأمور وترتيبها، فتصدر عنه الأفعال منتظمة ومرتبة، وينتهي إلى التدبير المدني الذي يرتب الأفعال والقوى (مسكويه، 2011، صفحة 273).

ويلفت مسكويه الانتباه إلى مسألة متعلقة بتصور الفعل نظريا وكيف يتشكل في النفس إلى أن يصير كمالا ومشاهدة، فيخرج من التصور الغرضي إلى الفعل الكمالي. فمسكويه يرى أن القوة العالمة تحصل كمالا نظريا في بداية أمرها كمنزلة الصورة، والقوة العاملة تحصل كمالا فعليا بمنزلة المادة، فإذا ظل هذا الكمال في النفس "ولم يخرج إلى الفعل فهو غرض، فإذا خرج إلى الفعل وتم، فهو كمال (مسكويه، 2011، صفحة 274)." وضرب لذلك مثالا يذكر فيه: "وكذلك الحال في كل شيء؛ لأن البيت إذا كان متصورا للباني، وكان عالما بأجزائه وتركيبه وسائر أحواله كان غرضا، فإذا أخرجه إلى الفعل وتممه كان كمالا (مسكويه، 2011، صفحة 274)." ولعل مسكويه يشير هنا إلى إمكانية تطبيق هذه الملكة على السلوك الخلقي الذي يصير متصور في الذهن الفكري والتصور الغرضي في بداية الأمر، ليخرج بعد ذلك إلى الفعل المسدد بالقوة العالمة.

وإذا كان مسكويه عرض العقل كموجه للأفعال الحسنة ومجنب للأفعال القبيحة بشكل نظري، فإن الإمام الغزالي أشار بشكل عملي لمقدرة العقل على كبح الجوارح عن الأفعال القبيحة، والدفع بالنفس إلى الأعمال الحسنة الجميلة، حيث ذكر أن القوة العالمة هي جند لأفعال العقل وموجهة له، فكلما كان المرء عارفا وعالما بغائلة الشهوة كلما كان قادرا على كبح جماحه وتجنب ما يضره، وضرب لذلك مثالا للطبيب الذي يمكنه "الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة، وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك؛ إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة، ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد، فيكون الخوف جندا للعقل، وعدة في قمع الشهوات وكسرها، وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من الجاهل؛ لقوة علمه بشرر المعاصي فإنه يقوي غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة أشد (الغزالي، إحياء علوم الدين، 2011، الصفحات ج:4/321-322)."

1.5 آليات صناعة الأخلاق عند مسكويه وأبي حامد الغزالي

يرى مسكويه أن الإنسان من بين المخلوقات المستعدة لضروب من المقامات والأحوال، وأن جوهره متعلق بخالقه، أما تجويد جوهره من حيث أفعاله الخاصة فمفوضة له ومعلقة بإرادته (مسكويه، 2011، صفحة 272). ويقول أبو حامد الغزالي: "إن الأفعال نتائج الأخلاق" (الغزالي، ميزان العمل، 1964، صفحة 247). ويفهم من هذا أن هناك إمكانية تغيير الخلق خلافا لمن قال إنه مستعص وجبلي، لكن الشواهد والسنن تظهر خلاف ذلك، وتؤكد أن السلوك الأخلاقي للإنسان فيه ما هو فطري وفيه ما هو مكتسب، ولو لم يكن تغيير خلق الإنسان ممكنا لبطلت الوصايا والمواعظ والترغيب والترهيب، وكيف ينكر تهذيب الإنسان مع إمكانية تغيير خُلق البهائم: بعد ترويضها إذ ينتقل الصيد من التوحش إلى التأنيث، والكلب من الأكل إلى التأدب، والفرس من الجماح إلى السلاسة، فكيف لا يتغير مع هذا خُلق الإنسان (الغزالي، ميزان العمل، 1964، الصفحات 247-248)، وهذا لا يحصل عند الغزالي إلا إذا حصل شرط المجاهدة وتهذيب النفس وتزكيتها وتصفيتها، ولا يصير إلى ذلك إلا بفهم العلاقة بين النفس والقوى الثلاثة(الشهوة، والغضب، والتفكر) فكل واحد من القوى متأثر بسبب صاحبه، فالنفس إن كملت وزكيت حسنت أفعال البدن.

ويظهر مما سبق أن مسكويه والغزالي يتفقان على إمكانية تغيير خُلق الإنسان بتغير أفعاله بناء على قوته العالمة والعاملة التي أودعهما الله فيه، لكن خروج الفعل الجميل من القوة العالمة إلى القوة العاملة والفاعلة يستوجب لصناعته ورسوخه أن يصير ملكة يتطبع بها، ولحصول الملكة الأخلاقية يستوجب أن تخضع النفس إلى آليتين محددتين، يجملها مكسويه والإمام الغزالي في: آلية التكرار والاعتياد للخلق الحسن، وتكرار الخلق بشكل متقارب في الزمان إلى أن يصير طبعا ثم عادة.

2.5 رأي مسكويه

يرى مسكويه أن الخلق عبارة عن حالة للنفس منبعثة من غير فكر ولا روية، ويقسم مسكويه هذه الهيئة النفسية إلى قسمين: قسم طبيعي وأصلي في الإنسان مثل: مهيجات الغضب، والفرح والجبن،

والحزن، والغم. ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب، ثم يستمر المرء على ذلك الفعل أولا فأولا حتى يصير ملكة في النفس (مسكويه، 2011، صفحة 265). فيكون مسكويه بهذا المعطى يؤكد على أهمية تكرار الفعل إلى أن يصير ملكة نفسانية، لما للنفس من تهيئ وتطبع على قبول الخلق الحسن.

3.5 رأي أبي حامد الغزالي

من الآليات التي يتم بها صناعة الفعل عند الإمام الغزالي، الاعتياد ثم تكرر الفعل إلى أن يصير وصفا للنفس وحالة له وللجوارح، ويشترط الغزالي لذلك أن يكون تكرار الفعل متزامنا في بدايته دون انقطاع، إلى أن يصير سهلا بعد أن كان متكلفا، وفي ذلك يقول: "إن الطريق إلى تزكية النفس، اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزاكية الكاملة، حتى إذا صار ذلك معتادا، بالتكرر مع تقارب الزمان، حدث منها هيئة للنفس راسخة، تقتضي تلك الأفعال وتتقاضاها، بحيث يصير ذلك له بالعادة، كالطبع فيخف عليه ما كان يستثقله من الخير." (الغزالي، ميزان العمل، 1964، صفحة 251) ولتوضيح عملية رسوخ الفعل إلى أن يصير صفة ثابتة نورد مثالا كيفية صناعة الحذق في الكتابة عند الغزالي حيث ذكر أنه "من أراد أن يصير له الحذق في الكتابة صفة نفسية ثابتة، فطريقه أن يتعاطى ما يتعاطاه الكاتب الحاذق، وهو حكاية الخط الحسن، حتى يصير له ذلك ملكة راسخة، ويصير الحذق فيه صفة نفسانية، فيصدر منه بالآخرة بالطبع، ما كان يتكلفه ابتداء بالتصنع. فكأن الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا، ولكن الأول متكلف، والآخر بالطبع وذلك بواسطة تأثر النفس." (الغزالي، ميزان العمل، 1964، صفحة 250)

ويذهب الإمام الغزالي إلى أن رسوخ الفعل بصفة عامة لا يحصل بتعطيل ليلة أو بتحصيله بزيادة ليلة؛ وإنما تحصيله أو تعطيله يكون متوقفا على ركون النفس إلى فعل ما أياما ولياليا طوال، وفي ذلك يقول: "فكذلك صغائر المعاصي بعضها يدعو إلى بعض، وكما أن تكرار ليلة، لا يحس بأثره في تفقه النفس؛ فإنه يظهر شيئا فشيئا، مثل نمو البدن وارتفاع القامة. فكذلك الطاعة الواحدة، قد لا يحس أثرها في النفس، وكمالها في الحال، ولكن ينبغي أن لا يستهان بها؛ فإن الجملة مؤثرة وإنما جمعت من الآحاد فلكل واحد تأثير" (الغزالي، ميزان العمل، 1964، الصفحات 250-253).

ويظهر مما سبق أن الإمام الغزالي أشار ضمنيا إلى آليات صناعة الخلق الحسن في سلوك الإنسان، فبين أن الطريق إلى صناعة الأخلاق وتزكية النفس على الخلق الجميل، هو اعتياد النفس على الأخلاق الجميلة حتى تصير معتادة، وأن يشملها التكرار المتقارب زمنيا، فإذا حصل ذلك صارت هيئة في النفس راسخة فتصير بعد ذلك عادة كالطبع بعد أن كانت مستثقلة، وضرب لذلك مثالا ذكر فيه: "من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع، وغلب عليه التكبر، فطريقه في المجاهدة أن يواظب على أفعال المتواضعين مواظبة دائمة على التكرر مع تقارب الأوقات." (الغزالي، ميزان العمل، 1964، صفحة 253).

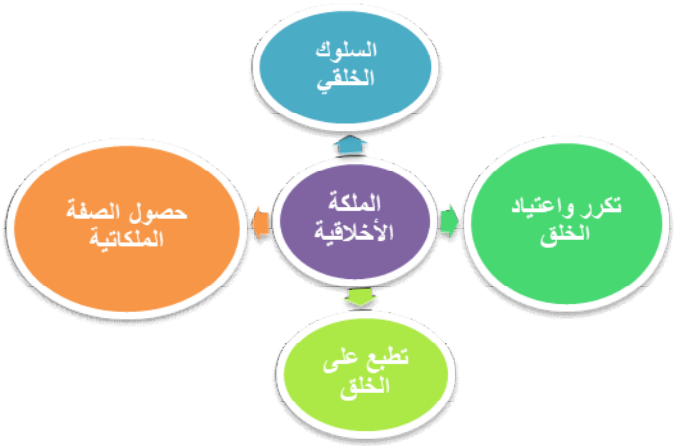

رسم توضيحي: لعملية صناعة الأخلاق الملكاتية عند مسكويه والإمام الغزالي.

6. خاتمة:

ختاما، نال الفكر الأخلاقي أهمية بالغة في جهود مسكويه والإمام الغزالي، حيث تجاوزت جهودهما العلمية الدرس الأخلاقي المعرفي واللفظي إلى الدرس السلوكي لدى الأفراد والجماعات، ولعل آراءهما لم تكتف بما نصت عليه النصوص الدينية من ترغيب وترهيب بل بذلا جهدا فكريا عميقا من أجل فهم سيكولوجية النفس وقواتها الملكاتية ومحركات البدن وما يدفعها من مؤثرات داخلية وخارجية، كما اتضح أن كلاهما انطلقا في فلسفتيهما الأخلاقية من منطلقات فكرية وموجهات علمية لصناعة الملكة الأخلاقية، فضلا عن تناولهما لآليات محددة كالاعتياد والتكرار التزامني للفعل لترسيخ الملكة الأخلاقية، وبالرغم من اتفاقهما في أغلب المسائل والقضايا الأخلاقية، لُاحظ اختلافهم في مسألة الاعتزال كمسلك تربوي أخلاقي. ومهما يكن من أمر، يمكن أن نجمل مواطن الاتفاق والافتراق في الخلاصة الآتية: حيث يتفق مسكويه والإمام الغزالي على أن:

-صناعة الملكة الأخلاقية ممكنة التحقق؛ لأن الله عزوجل جبل الإنسان على بلوغ الكمال، إذا وجد شرط التربية؛

-الأخلاق تنقسم إلى قسمين: قسم فطري يولد مع الإنسان، وقسم مكتسب بالتربية والتهذيب والرياضة كسائر الحيوانات؛

-الملكة الأخلاقية هي: عبارة عن هيئة نفسية راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال الجميلة بكل يسر وسهولة دون حاجة إلى فكر وروية؛

-يتوجب لصناعة الأخلاق معرفة النفس وإدراك قواها، وملكاتها وماهيتها وجوهرها وغايتها وكمالها، فضلا عن معرفة القوة الفكرية والغضبية والشهوية ووظائفها وأثرها على الجسدي باعتبارهما المحرك الأساسي لأفعال الإنسان؛

-يتفق كل من مسكويه والغزالي على أن صناعة أي ملكة ما يتطلب قوة عالمة وقوة عاملة، حيث تختص القوة الأولى بالمعارف النظرية التي توجه الرأي وتسدده، فحين تختص القوة العاملة على تنفيذ الفعل وترتيب

الأمور ونظمها، فكأن الفعل يخرج من القوة الكامنة إلى القوة الفاعلة، أو تخرج من التصور الغرضي الموجه بالقوة العالمة إلى الفعل الكمالي الموجه بالقوة العاملة كما عبر عن ذلك مسكويه؛

-يتفق مسكويه والغزالي أيضا على أن من آليات صناعة الملكة الأخلاقية في النفس، آليتين: آلية: الاعتياد للخلق الحسن، وآلية: تكرار الخلق بشكل متزامن إلى أن يصير طبعا وعادة ثم ملكة.

-أما فيما يخص مواطن الافتراق، فنسجل أن مسكويه والغزالي اختلفا في مسألة أيهما أفضل للمرء الاختلاط أم الاعتزال؟ ونجمل مواقفهما في الآتي:

-نلاحظ أن مسكويه والغزالي يتفقان في مسائل أخلاقية عديدة، لكنهما يختلفان في مسألة الاعتزال، حيث يرى مسكويه أن الاعتزال لا يصنع خلقا بقدر ما يهدم ملكات الإنسان ويعطل قواه وفضائله، كما أنه يربط السعادة بالاجتماع المدني ويرى أنها لا تحصل إلا بتعاون الناس واجتماعها، لكون الله خص كل إنسان بفضائل محددة ولا يمكن أن تحصل لهم السعادة إلا إذا صدرت عنهم هذه الفضائل جميعا، كما أن مسكويه يرى أن انعزال المرء هو انسلاخ عن فطرته وجرم في حق قواه الملكاتية لما فيه من مضرة وتعطيل لوظائفه، فإن هو اعتزل الناس فقد صار بمنزلة الجمادات والموتى، ولم يعرف خيره من شره وفساده من صلاحه. فحين يذهب أبو حامد الغزالي إلي اختيار الاعتزال كخيار تربوي لصناعة الأخلاق والفضائل لما له من أثر في تهذيب وتزكية النفس من الرذائل، حيث يرى في مجمل رأيه أن لا خلاص من آفات الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة في بداية الأمر إلا باختيار العزلة كمسلك تربوي وأخلاقي. ومع ذلك يقر بفضائل الاختلاط وفوائده، ويحمل اختيار الاعتزال على ما يجده المرء في حالته واستعداده النفسي والجسماني.

7. قائمة المراجع:

-الغزالي، أبو حامد، سنة 2011، إحياء علوم الدين، تحقيق هيئة مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

-مبارك، زكي، الأخلاق عند الغزالي، سنة 2012، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة يورك هاوس.

-ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر ،أليس الصبح بقريب، سنة 2008، دار السلام – دمشق، الطبعة الثانية، 2008م.

-الجرجاني، علي، التعريفات، سنة 1985م، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى.

-الجاحظ، أبو عثمان، تهذيب الأخلاق، سنة 1989، تعليق أبو حذيفة إبراهيم بن مُحَمَّد، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى.

-مسكويه، أحمد بن مُحَمَّد، تهذيب الأخلاق، سنة 2011، دراسة وتحقيق عماد الهلالي، منشورات الجمل بغداد، الطبعة الأولى.

-ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، سنة 1988م، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

-الجوهري، أبو نصر إسماعيل، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، سنة 2009م، اعتنى به مُحَمَّد تامر وآخرون، دار الحديث القاهرة.

-ابن منظور، لسان العرب، سنة1993 ، دار صار بيروت، الطبعة الثالثة.

-ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، سنة 1979م، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر.

-الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، سنة 2009م، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية، الطبعة الرابعة.

-الغزالي، أبو حامد، ميزان العمل، سنة 1964م، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى.